

التَّارِيخُ: ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٢ م - ١ جمادى الأولى ١٤٤٤ هـ.

المَوْضُوعُ: الكَبَائِرُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: "إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا".^١ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ".^٢

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامُ!

لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ كَائِنًا يُفَكِّرُ وَيَسْأَلُ وَلَهُ الْحَقُّ فِي الْإِخْتِيَارِ، وَكَأَدَّ أَيْضًا بِشَكْلِ عَامٍ أَنَّ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ تَمِيلُ إِلَى الشَّهْوَةِ وَالْخَطِيئَةِ وَالشَّرِّ فِي طَبِيعَتِهَا. قَدْ يَفْعُ الْإِنْسَانُ فِي الْإِثْمِ وَالْخَطَا، وَلَوْ بِغَيْرِ قَصْدٍ. وَلَعَلَّ أَكْبَرَ سَبَبٍ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ نَسِيَ رَبَّهُ. وَإِذَا نَسِيَ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ فَإِنَّهُ يَمِيلُ عَلَى الْفُورِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ!

إِنَّ الْخَطِيئَةَ هِيَ كُلُّ عَمَلٍ أَوْ قَوْلٍ يُعْتَبَرُ جَرِيمَةً فِي الدِّينِ وَمُخَالَفًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى. وَمَنْ حَيْثُ طَبِيعَةُ الْخَطِيئَةِ، فَإِنَّهَا تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ فِي دِينِنَا. إِنَّ الْكَبَائِرَ هِيَ الَّتِي تُسَبِّبُ الْفُسَادَ، وَهَنَّاكَ آيَاتٌ وَأَحَادِيثٌ مُهَدَّدَةٌ لِفَاعِلِهَا وَتَأْدِي إِلَى مُعَاقِبَةٍ فَاعِلِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. يُعَبِّرُ نَبِينُنَا عَنْ أَثَرِ الْخَطِيئَةِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي فِي الْحَدِيثِ الَّذِي قَرَأْتُهُ فِي بَدَايَةِ الْخُطْبَةِ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ". وَفِيمَا عَدَا ذَلِكَ يُعَدُّ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ هِيَ مُخَالَفَةُ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ، وَعَدَمُ الْوَقَائِ بِالْوَاجِبَاتِ،

وَالرِّشْوَةُ، وَالْقِمَارُ، وَتَعَاطِي الْخُمُورِ، وَالْمُخَدَّرَاتِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَالْغَيْبَةُ، وَالْقَذْفُ، وَالغِشُّ، وَالِاسْتِهْزَاءُ بِالْآخِرِينَ، وَالسَّرِقَةُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامُ!

وَقَدْ قَالَ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ: "لَا تَنْظُرْ إِلَى حَجْمِ الْخَطِيئَةِ، بَلْ أَنْظُرْ إِلَى مَنْ ارْتَكَبَتْ". كُلُّ مَا يَمْنَعُ مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَعِبَادَتَهُ، وَكُلُّ مَا يَصِيرُ حِجَابًا بَيْنَ اللَّهِ وَعَبْدِهِ فَهُوَ إِثْمٌ. الْمَعْصِيَةُ هِيَ عِضْيَانُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي لَهُ قُوَّةٌ وَجَلَالٌ لَا حُدُودَ لَهُمَا. وَلَيْسَ لِلْخَطِيئَةِ تَأْثِيرٌ سَلْبِيٌّ عَلَى مَشَاعِرِ الْإِنْسَانِ وَأَفْكَارِهِ فَحَسْبُ، بَلْ إِنَّهَا تَجْعَلُ قَلْبَهُ يَغْمُؤُ. عِنْدَمَا أَخْطَأَ الْإِنْسَانُ يَصْدَأُ قَلْبُهُ ثُمَّ يُصْبِحُ فُفْلًا غَيْرَ مَفْتُوحٍ، وَلَا يَبْقَى الْحُبُّ وَلَا الرَّحْمَةُ فِي قَلْبِهِ. يُعَبِّرُ نَبِينُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَثَرِ الْخَطِيئَةِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِبَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فَإِذَا هُوَ تَرَعَّ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبَهُ وَهُوَ الرَّأُّ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ،^٣ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ".^٤

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ!

لَمْ يُتْرَكِ الْإِنْسَانُ دُونَ رِعَايَةِ فِي الْعَالَمِ، وَلَمْ يَتِمَّ إِشْقَاؤُهُ لِيَعِيشَ مَدَى الْحَيَاةِ خَاصِعًا لِرِعَابَاتِهِ. يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعِيشَ حَيَاةً مُتَوَازِنَةً بِأَمْرِ اللَّهِ وَتَوَاهِيهِ حَتَّى تَنْتَهِيَ حَيَاتُهُ. لِهَذَا السَّبَبِ، لَا يَنْظُرُ الْمُسْلِمُ إِلَى أَيِّ مِنَ الذُّنُوبِ عَلَى أَنَّهَا صَغِيرَةٌ أَوْ كَبِيرَةٌ، بَلْ يَبْحَثُ عَنْ طَرِيقٍ لِيَتَجَنَّبَهَا كُلَّهَا. مَا دَامَ الْإِنْسَانُ يَتَجَنَّبُ الْكَبَائِرَ، تُغْفَرُ ذُنُوبُهُ الصُّغْرَى وَهَذَا الْغُفْرَانُ هُوَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ. هَذَا الشُّعُورُ يُعْطَى دَفْعَةً مَعْنَوِيَّةً لِلشَّخْصِ. وَيُعَبِّرُ رَبُّنَا الْقَدِيرُ عَنْ هَذَا الْمَوْقِفِ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَرَأْتَهَا فِي بَدَايَةِ الْخُطْبَةِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: "إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا".

الْوَقْفُ الْإِسْلَامِيُّ الْهُولَنْدِيُّ

^٢ ابن ماجه، كتاب الزهد، ٢٩.

^٤ سورة المطففين، ٨٣/١٤.

^١ سُورَةُ النِّسَاءِ، ٤/٣١.

^٢ صحيح البخارى، الوصايا، ٢٣. صحيح المسلم، الإيمان، ٣٨.